ISSN-E: 2617-9563

"دلائل نبوة النبي محمد ﷺ من سورة يونس–دراسة عقدية"

إعداد : عائشة محمد بمب

طالبة بكالوريوس العقيدة من جامعة أم القرى

البريد الالكتروني :s443001141@st.uqu.edu.sa

ISSN-E: 2617-9563

الملخص باللغة العربية :

هدفت الباحثة في هذا البحث الى استقصاء ودراسة أدلة نبوة محمد ﷺ من سورة يونس ، ولتحقيق هذا الغرض استخدمت الباحثة المنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي، و خرجت الباحثة بنتائج أهمها : أن أدلة نبوة محمد ﷺ الواردة في سورة يونسٍ ست أدلة وهي :

1- وجود الانبياء السابقين وبشريتهم
2- ومطابقة حال محمد ﷺ ورسالته لمن قبله من الأنبياء عليهم السلام ، وتطابق أحوال المكذبين لهم.
3- وأن العاقبة تكون له ولأتباعه ، كما كانت العاقبة للأنبياء قبله ولمن آمن بهم.
4- وما عُرف عنه من الأحوال قبل البعثة وبعدها ومن الصفات كصدقه وأمانته ﷺ ، وأميته ، واتباعه للوحي.
5- وإعجاز القرآن في معانيه ومبانيه ، وفي عقائده وشرائعه وأحكامه ، وأخباره ، وتصديقه للكتب السابقة وهيمنته عليها .
6- وكذلك معرفة أهل الكتاب له لما ورد في كتبهم من التبشير بقدومه ﷺ ، وبقاء هذه البشارات رغم التحريف الذي طال كتب اليهود والنصارى. وأوصت الدارسة الباحثين ببحث أدلة أصول الإعتقاد في القرآن ، وتحديدًا في سورة يونس ، كما أوصت ببحث أدلة نبوة محمد ﷺ من سورة الأنعام أو غيرها من سور القرآن .

Summary in English

This study delves into the verification of Muhammad's prophethood (peace and blessings be upon him) as depicted in the Chapter of Jonah. The researcher used inductive, analytical, and deductive approaches. The research entailed a comprehensive analysis of the surah to extract pertinent evidence substantiating the prophethood.

The investigation yielded six key pieces of evidence:

1-The historical presence of preceding prophets and their human nature, paralleling the status and mission of Muhammad (peace and blessings be upon him), along with the consistent outcomes for those who rejected their messages.

2-the favorable outcome for Muhammad (peace and blessings be upon him) and his followers, mirroring the divinely ordained successes bestowed upon earlier prophets and those who believed in them.

3-Muhammad's well-documented attributes, such as his integrity and trustworthiness (peace and blessings be upon him), his illiteracy, and his adherence to divine revelation before and after assuming his mission.

4-The miraculous nature of the Quran, evident in its content and structure, encompassing its teachings, commandments, prophecies, and its affirmation and supremacy over preceding scriptures.

5-The recognition of Muhammad (peace and blessings be upon him) by the People of the Book, based on prophecies recorded in their texts.

6-The preservation of these prophecies despite the alterations that have occurred in the Jewish and Christian scriptures.

The study suggests that future research should scrutinize the foundational evidence of faith presented in the Quran, particularly within Chapter of Jonah. It also recommends further investigation into the evidences of Muhammad's prophethood (peace be upon him) as found in Surat Al-An'am (the Cattle Chapter) or other chapters of the Quran.

المقدمة :

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد:

يقول تعالى {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل :89] أي: أن الله سبحانه وتعالى لم يترك شيئا إلا بينه وأوضحه لعباده ، رحمة بهم ، وإقامة للحجة عليهم، ومن أعظم مابينه الله في كتابه دلائل نبوة محمد ﷺ. إذ إثبات نبوته ﷺ أحد أهم أصول الدين ، وبه يمكن إثبات صحة الإسلام ، ولذا ساق القرآن على ذلك العديد من البراهين والدلائل العقلية والشواهد المتنوعة ، بأحسن أسلوب وأيسره ، ليشهد كل منصف بعدها أنه نبي الله حقا .

ولقد أحببت أن أتناول بالدراسة "دلائل نبوة النبي محمد ﷺ من سورة يونس – دراسة عقدية" لما تضمنته هذه السورة من حديث عن أصول الإيمان وأدلتها ، وجاء فيها عدد لا بأس به من أدلة نبوته صلى الله عليه وسلم فأحببت إفرادها في دراسة .

مشكلة الدراسة :

حوت سورة يونس على كثير من الأدلة على أصول الإيمان ، وخاصة أدلة نبوة محمد ﷺ، ويأتي البحث الحالي كمحاولة للتعرف على دلائل نبوة محمد ﷺ من هذه السورة.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

1- صلته بالقرآن الكريم الذي هو المنبع الصافي ، والأصيل لأصول الإيمان.
2- أدلة القرآن واضحة الدلالة ، سهلة التناول ، قطعية ويقينية ، فوجب دراسة أدلة نبوة محمد ﷺ من القران الكريم ، وتحديدا سورة يونس لما حوته من أدلة كثيرة على نبوته ﷺ.
3- كثر في زماننا هذا الموجات التشكيكية ، والطاعنة في أصول الإسلام ، وخاصة فيما يتعلق بنبوة محمد ﷺ وثبوتها ، فوجب دراسة أدلة نبوته ﷺ للرد على هذه الشبهات ، وتثبيت إيمان المسلمين ، ولدعوة غير المسلمين .
4- قلة الدراسات العقدية التي تناولت سورة يونس بالدراسة – حسب علم الباحثة – رغم كثرة ما جاء فيها من بيان لأصول الإيمان والأدلة التي تثبتها .
5- ميلي الشخصي وحبي للموضوعات التي تربط القران الكريم بقواعد وأصول العقيدة الإسلامية عمومًا ، وحبي لما جاء في سورة يونس خصوصًا.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى :

1- التعريف بسورة يونس وأهم ما جاء فيها من موضوعات.
2- التعريف بدلائل النبوة.
3- بيان دلائل نبوة محمد ﷺ العامة من سورة يونس.
4- بيان دلائل نبوة محمد ﷺ الخاصة من سورة يونس.

الدراسات السابقة :

1- "**أصول الاعتقاد في سورة يونس**" ، لقذلة القحطاني ، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود.
2- "**دلائل نبوة النبي محمد ﷺ في سورة النجم**" ، لمريم الدويلة ، من جامعة الكويت.
3- "**دلائل نبوة محمد ﷺ في القرآن الكريم**" لمحمد بن سريع ، من مجلة الدراسات القرآنية العدد (7) عام 1431 .

منهج البحث :

سلكت في البحث المنهج الاستقرائي التحليلي الاستنباطي ، حيث قمت بجمع أدلة نبوته ﷺ من سورة يونس ، مستفيدة من كلام العلماء والأئمة . وسأسير في البحث على الخطوات التالية:

1- عزو الآيات القرآنية إلى سورها مع رقمها.
2- خرجّت الأحاديث بذكر مصدر الحديث ورقمه مع ذكر درجته.
3- درست سورة يونس دراسة عقدية تدبرية فاحصة لاستخلاص دلالاتها على نبوته ﷺ.
4- لم أورد الشبهات المتعلقة بنبوته ﷺ في مبحث مستقل ، بل أذكرها في ثنايا حديثي عن الدليل وأوجه دلالته باختصار .
5- أوردت آيات ليست من سورة يونس لتشابه دلالتها على نبوته ﷺ ، في حديثي عن الآيات .
6- في بداية حديثي عن الآية أورد معناها العام المختصر ، ثم أُفصل في معانيها وأوجه دلالتها على نبوته ﷺ ، والرد على الشبه المتعلقة بالآية .
7- قسمت البحث الى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.
8- قمت بفهرسة المصادر والمراجع .

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس وبيانه كالتالي:

المقدمة وفيها :

تحديد مشكلة البحث وأهمية الموضوع وسبب اختياره ، وأهداف البحث ومنهجه، والدراسات السابقة.

الفصل الأول : التعريف بسورة يونس ودلائل النبوة وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بسورة يونس.

المبحث الثاني: دلائل النبوة .

الفصل الثاني: دلائل نبوة محمد ﷺ العامة من سورة يونس وفيه ثلاثة مباحث :

١- دلالة وجود الأنبياء السابقين على نبوته ﷺ.

٢- دلالة مطابقة حال ورسالة نبينا ﷺ لرسالة وحال من قبله من الأنبياء عليهم السلام .

3 - دليل العاقبة.

الفصل الثالث: دلائل نبوة محمد ﷺ الخاصة من سورة يونس وفيه ثلاثة مباحث:

1- دليل الصفات والأحوال.

2- دليل إعجاز القرآن .

3- دليل معرفة أهل الكتاب له .

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات .

ISSN-E: 2617-9563

الفصل الأول : التعريف بسورة يونس ودلائل النبوة

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : التعريف بسورة يونس

سورة يونس من السور المكية إلا بعض آياتها ، وقيل إن أول أربعين آية منها نزلت بمكة والباقي في المدينة. (القرطبي، 1964) وسميت سورة يونس بهذا الاسم لما ورد فيها من الإشارة إلى قوم يونس عليه السلام في قوله تعالى {فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ } [يونس : 98] . وأهم ما جاء فيها من موضوعات :

1- بيان توحيد الله سبحانه وتعالى والاستدلال بتوحيد الربوبية على استحقاق الله تعالى للعبادة .
2- بيان قدرة الله سبحانه وتعالى وعظمته وحسن تدبيره في الكون ، وفضله على عباده بما سخر لهم مما في السموات والأرض وإنزاله الكتب وإرساله الرسل لهدايتهم.
3- ذكر مآل المكذبين للرسل والكافرين بآيات الله ، وتبرؤ المتبوعين من أتباعهم ، وندم المشركين حين يعاينون النار وعظيم عذابها ، وخسارتهم الكبرى بخلودهم في جهنم وبئس المصير .
4- ذكر صفات أولياء الرحمن والمؤمنين ، وفوزهم في الدنيا والآخرة ، وفرحهم وحمدهم لله حين دخولهم الجنة وخلودهم فيها.
5- إيقاف القارئ لهذه السورة لطبيعة النفس البشرية – التي لم تتزكى بالعلم والدين– وكفرها بنعم الله تعالى وأن الإنسان إذا أصابه بلاء التجأ الى الله تعالى ، وإن ذهب ما به من بلاء ترك التجاءه وتضرعه، وكَفر بالله وبنعمه .
6- ذكر شبه ومعارضات المشركين لرسلهم ، وبيان لبعض البدع والشركيات التي كان عليها المشركين ، من عبادة من لاينفع ولايضر ، واتخاذهم شفعاء ، وتحريمهم بعض ما رزقهم الله وتحليل بعضه .
7- إقامة الحجة على المشركين ، وبيان بطلان عبادتهم لغير الله لنقص تلك المعبودات ، وافتقارها للنفع والضر ، والهداية ، والخلق ، والملك، بحجج عقلية واضحة ، يقر بها كل من له عقل منصف .
8- بيان رحمة الله بعباده حيث أرسل لكل أمة رسولًا ، وأيد هذا الرسول بالمعجزات ، وذَكَرَ سبحانه وتعالى في هذه السورة نماذج من قصص الأنبياء كنوح وموسى عليهما السلام ، وماحصل لهما مع أقوامهما من التكذيب والإيذاء ، ومِنْ نصر الله لهم .
9- التدليل على نبوة الأنبياء عامة ، ومحمد ﷺ خاصة ، حيث جاء في هذه السورة الكثير من الأدلة والبراهين على نبوته ﷺ.

ISSN-E: 2617-9563

10- بيان إعجاز القران ، والتأكيد بأنه من عند الله تعالى ، لما اشتمل عليه من الحكمة والفصاحة وأتم البيان ، ولعجز الثقلين عن الإتيان بمثله.

11- بيان عقيدة البعث والجزاء ، والتدليل عليها وذكر حال الناس يوم القيامة.

12- التوضيح بأن كثرة الآيات والأدلة الصحيحة والواضحة على أصول الإيمان ، لاتنفع من ليس لديه استعداد للإيمان ، واختار الضلالة على الهدى .

المبحث الثاني : دلائل النبوة:

أولًا : معنى الدليل لغة : قال ابن فارس " الدليل الأمارة في الشيء" (فارس، 1979) والدليل ما يلزم من العلم به العِلم بشيء آخر (التهانوي، 1996) والدليل ما يُستدل به (ابن منظور، 1993). والدليل شرعًا : هو " المرشد إلى المطلوب ، وهو الموصل إلى المقصود ، وهو ما يكون النظر الصحيح فيه موصلًا الى علم أو إلى اعتقاد راجح" (ابن تيمية، 2005)

ثانيًا: تعريف النبوة: النبوة لغة مشتقة من النبأ ، وهو الخبر ، فالنبي يُنبئ عن الله أي يُخبر عنه . وقيل مشتقة من نبا بدون همز مأخوذة من النَّبْوَة والنَّبَاوَة ، وهي المكان المرتفع ، والنبي العَلَمُ من أعلام الأرض التي يُهتدى بها ، ومنه النبي لارتفاع قدره وشرفه على سائر الخلق (الأزهري، 2001) (الفيروز آبادي، 2005) (ابن منظور، 1993) وقال ابن فارس " النبي : الطريق " (فارس، 1979) لأن النبي يوضح الطريق الموصل إلى الله تعالى . والنبوة في الشرع " خبر خاص يُكْرِمُ الله – عز وجل– به أحدًا من عباده ، فيُميزه عن غيره بإلقائه إليه ، ويوفقه به على شريعته بما فيها من أمر ونهي ووعظ وإرشاد ووعد ووعيد" (البيهقي، 2003)

ثالثًا : المقصود بدلائل النبوة : " هي الأدلة والعلامات المستلزمة لصدقهم. الدليل مستلزم للمدلول ، والدليل لا يكون إلاَّ مستلزما للمدلول عليه مختصاً به، لا يكون مشتركاً بينه وبين غيره؛ فإنّه يلزم من تحقّقه تحقّق المدلول. وإذا انتفى المدلول انتفى هو؛ فما يوجد مع وجود الشيء، ومع عدمه، لا يكون دليلاً عليه، بل الدليل ما لا يكون إلاَّ مع وجوده. فما وُجد مع النبوّة تارةً، ومع عدم النبوّة تارةً، لم يكن دليلاً على النبوّة، بل دليلها ما يلزم من وجوده وجودها." (ابن تيمية، النبوات، 2000) ودلائل النبوة أعم من المعجزات (ابن حجر العسقلاني، 2013) والنبي محمد ﷺ أكثر الرسل والأنبياء معجزة ، وأبهرهم آية ، فله من الدلائل والبراهين على صدق نبوته ﷺ مالا يعد ولا يحصى ، وقد بلغت آياته ألفًا ونَيفًا (ابن حجر العسقلاني، 2013) . بل إن الله قد أعطاه من المعجزات والآيات ما أعطاه لجميع الأنبياء ، يقول القاضي عياض "وَظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ

الْمُعْجِزَاتُ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أُعْطِيَ فَضِيلَةً أَوْ كَرَامَةً إِلا وَقَدْ أُعطى محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَهَا" (اليحصبي، 1988)

ونبتدئ بذكر طرف من دلائل نبوته ﷺ في سورة يونس في الفصلين القادمين، وبالله التوفيق.

الفصل الثاني : دلائل نبوة محمد ﷺ العامة من سورة يونس

وقصدي بدلائل النبوة العامة : هي الدلائل التي اشترك فيها جميع الأنبياء ، ولم تكن مختصة بالنبي محمد ﷺ . وبيانها في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :دلالة وجود الأنبياء السابقين على نبوته ﷺ.

قال تعالى { أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ * إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } [يونس : 2-3]

ومعنى الآية " أَبَلَغَ الجهل وسوء التفكير بمشركي مكة ومن على شاكلتهم، أن كان إيحاؤنا إلى رجل منهم يَعرفهم ويعرفونه لكي يُبلغهم الدين الحق، أمرا عجبا، يدعوهم إلى الدهشة والاستهزاء بالموحى إليه صلى الله عليه وسلم حتى لكأن النبوة في زعمهم تتنافى مع البشرية. إن الذي يدعو الى العجب حقا هو ما تعجبوا منه" (طنطاوي، 1998) وقوله " {إِنَّ رَبَّكُمُ} كَلامٌ مُسْتَأْنَفٌ سِيقَ لِإظْهارِ بُطْلانِ تَعَجُّبِهِمُ المَذْكُورِ وما بَنَوْا عَلَيْهِ مِنَ المَقالَةِ الباطِلَةِ غِبَّ الإشارَةِ إلَيْهِ بِالإنْكارِ والتَّعْجِيبِ، وحُقِّقَ فِيهِ حَقِّيَّةُ ما تَعَجَّبُوا مِنهُ وصِحَّةُ ما أنْكَرُوهُ بِالتَّنْبِيهِ الإجْمالِيِّ عَلى بَعْضِ ما يَدُلُّ عَلَيْها مِن شُئُونِ الخَلْقِ والتَّقْدِيرِ وأحْوالِ التَّكْوِينِ والتَّدْبِيرِ، ويُرْشِدُهم إلى مَعْرِفَتِها بِأدْنى تَذْكِيرٍ لِاعْتِرافِهِمْ بِهِ مِن غَيْرِ نَكِيرٍ لِقَوْلِهِ تَعالى: {قُلْ مَن رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ ورَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ} {سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أفَلا تَتَّقُونَ}" (أبو السعود، 1928).

وتَعَجُّبُ المشركين ومن على شاكلتهم من نبوة النبي محمد ﷺ من عدة أوجه : أحدها : تعجبوا من أن يجعل الله بشرًا نبيا ورسولا كما حكى عنهم في غير هذا الموضع في قوله { وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا} [الإسراء : 94] ورد الله تعجبهم هذا بثلاثة ردود : الأول : النبوة ليست بمستحيلة ولا بأمر عجيب ، إذ أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لعبادته وكان لابد لهم ممن يُعلمهم أمورَ دينهم وكيفيةَ العبادة؛ حتى يحققوا الغاية التي لأجلها خُلقوا فأرسل الرسل والأنبياء ، وأنزل الكتب ليقيم الحجة عليهم. وعظيم قدرة الله التي ذكرها في قوله {إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ } الآية ، دليل

على إمكان النبوة إذ أن الله الذي خلق هذا الكون العظيم لايُعجزه شيء ، فلا يُعجزه أن يُرسل رسولًا ونبيا من البشر لدعوة الناس وهدايتهم. الرد الثاني : لا عجب من كون النبي بشر ، إذ هو مبعوث إلى بشر ، فلو ثبت وجود ملائكة في الأرض لبعث الله إليهم نبيا من الملائكة ؛ لأن الجنس إلى الجنس أميل وأقدر على التفاهم ، قال تعالى{ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا } [الإسراء: 95] .

الرد الثالث: كيف يتعجبون من نبوة محمد ﷺ البشري ، إذ كل الأنبياء الذين سبقوه كانوا من البشر ، واحتج الله عليهم بهذا في قوله { وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ }[الأنعام : 91] الآية قال ابن عاشور " أمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ بِأنْ يُفْحِمَهم بِاسْتِفْهامِ تَقْرِيرٍ وإلْجاءٍ بِقَوْلِهِ مَن أنْزَلَ الكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسى فَذَكَّرَهم بِأمْرٍ لا يَسْتَطِيعُونَ جَحَدَهُ لِتَواتُرِهِ في بِلادِ العَرَبِ، وهو رِسالَةُ مُوسى ومَجِيئُهُ بِالتَّوْراةِ وهي تُدْرَسُ بَيْنَ اليَهُودِ في البَلَدِ المُجاوِرِ مَكَّةَ... فَقَدْ ثَبَتَ أنَّ اللَّهَ أنْزَلَ عَلى أحَدٍ مِنَ البَشَرِ كِتابًا فانْتَقَضَ قَوْلُهم ما أنْزَلَ اللَّهُ عَلى بَشَرٍ مِن شَيْءٍ " (ابن عاشور، 1984) ، قال تعالى { قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ } [الأحقاف : 9].

الوجه الثاني من تعجبهم من نبوة النبي محمد ﷺ: كونه كان يتيمًا ، إذ قالوا " مَا وَجَدَ اللَّهُ مَنْ يُرْسِلُهُ إِلَّا يَتِيمَ أَبِي طَالِبٍ،" (القرطبي، 1964) فتعجبهم من هذا الوجه ظاهر البطلان ، إذ أن الله سبحانه وتعالى يصطفي من يشاء من خلقه للنبوة ، والله سبحانه وتعالى لاينظر إلى مكانة العبد عند الناس ولا إلى ماله ، ولكن ينظر إلى قلبه ؛ إذ هو غني عن عباده فلا الفقر سبب لنقصان الحال عنده –سبحانه وتعالى– ولا الغنى سبب لكمال الحال عنده يقول تعالى{ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا } [سبأ:37] الآية ، يقول أبو السعود" فَلما أنَّ مَناطَ الِاصْطِفاءِ لِلنُّبُوَّةِ والرِّسالَةِ هو التَّقَدُّمُ في الِاتِّصافِ بِما ذُكِرَ مِنَ النُّعُوتِ الجَمِيلَةِ، والصِّفاتِ الجَلِيلَةِ، والسَّبْقِ في إحْرازِ الفَضائِلِ العَلِيَّةِ وحِيازَةِ المَلَكاتِ السَّنِيَّةِ جِبِلَّةً واكْتِسابًا، ولا رَيْبَ لِأحَدٍ مِنهم في أنَّهُ ﷺ في ذَلِكَ الشَّأْنِ في غايَةِ الغاياتِ القاصِيَةِ ونِهايَةِ النِّهاياتِ النّائِيَةِ، وأمّا التَّقَدُّمُ في الرِّياساتِ الدُّنْيَوِيَّةِ والسَّبْقِ في نَيْلِ الحُظُوظِ الدَّنِيَّةِ فَلا دَخْلَ لَهُ في ذَلِكَ قَطْعًا، بَلْ لَهُ إخْلالٌ بِهِ غالِبًا، قالَ ﷺ: (لَوْ كانَتِ الدُّنْيا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَناحَ بَعُوضَةٍ ما سَقى الكافِرَ مِنها شَرْبَةَ ماءٍ)[أخرجه الترمذي (2320) واسناده صحيح]" (أبو السعود، 1928).

الوجه الثالث من تعجبهم : ما جاء به ﷺ من الأمر بالتوحيد والإخبار بالبعث والحساب والجزاء ، قال تعالى حكاية عن تعجبهم من التوحيد { أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ } [ص:5] وعن عجبهم من البعث ووصفهم البعث بالأسطورة ، يقول تعالى{ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ * لَقَدۡ

وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } [النمل :67-68] وقال{ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ} [ق :3] فرد الله عليهم ببيان قدرته العظيمة في خلق السموات والأرض وتدبيره الأمور للاستدلال بقدرته وربوبيته على استحقاقه للعبادة ، إذ هم مُقرون بربوبيته، يقول تعالى { إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } [يونس:3] وأظهر عجز الآلهة التي يعبدونها لعجزها عن التصرف في هذا الكون ، قال عز وجل { قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [يونس :30]، وأيضا قدرته تعالى وكمال ملكه وخلقه للسموات والأرض دليل على البعث، إذ القادر على خلق هذا الكون العظيم قادر على إعادة خلق العباد وبعثهم،{ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ } [يس:81] بل العجب قولهم بانتفاء البعث ، فعدمُ إمكان البعث يقتضي نسبة العبث إلى الله سبحانه وتعالى ، كما فيه من الظلم إذ يتساوى المسيء والمُحسن في الدنيا ، بل قد يظهر المُسيء على المُحسن في الدنيا ويكون مُنَعّمًا فيها ، وقد لاينال الظالم عقابه في الدنيا ، فيبقى المظلوم من غير حقه ، فكان لابد من يوم يَقتصُ فيه الله للمظلوم من الظالم ، ويُجَازى المُحسنُ على إحسانه ، والمُسيء على اساءته ، يقول تعالى { وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} [الرعد : 5] ، وقال تعالى {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} [المؤمنون:115] . يقول الرازي " اعْلَمْ أَنَّهُ تَعالى لَمّا حَكى عَنِ الكُفّارِ أَنَّهم تَعَجَّبُوا مِنَ الوَحْيِ والبَعْثَةِ والرِّسالَةِ، ثُمَّ إنَّهُ تَعالى أزالَ ذَلِكَ التَّعَجُّبَ بِأنَّهُ لا يَبْعُدُ البَتَّةَ في أنْ يَبْعَثَ خالِقُ الخَلْقِ إلَيْهِمْ رَسُولًا يُبَشِّرُهم عَلى الأعْمالِ الصّالِحَةِ بِالثَّوابِ، وعَلى الأعْمالِ الباطِلَةِ الفاسِدَةِ بِالعِقابِ، كانَ هَذا الجَوابُ إنَّما يَتِمُّ ويَكْمُلُ بِإثْباتِ أمْرَيْنِ، أحَدُهُما: إثْباتُ أنَّ لِهَذا العالَمِ إلَهًا قاهِرًا قادِرًا نافِذَ الحُكْمِ بِالأمْرِ والنَّهْيِ والتَّكْلِيفِ. والثّانِي: إثْباتُ الحَشْرِ والنَّشْرِ والبَعْثِ والقِيامَةِ، حَتّى يَحْصُلَ الثَّوابُ والعِقابُ اللَّذانِ أخْبَرَ الأنْبِياءُ عَنْ حُصُولِهِما، فَلا جَرَمَ أنَّهُ سُبْحانَهُ ذَكَرَ في هَذا المَوْضِعِ ما يَدُلُّ عَلى تَحْقِيقِ هَذَيْنِ المَطْلُوبَيْنِ. أمّا الأوَّلُ: وهو إثْباتُ الإلَهِيَّةِ، فَبِقَوْلِهِ تَعالى: {إنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرْضَ}. وأمّا الثّانِي: وهو إثْباتُ المَعادِ والحَشْرِ والنَّشْرِ. فَبِقَوْلِهِ: {إلَيْهِ مَرْجِعُكم جَمِيعًا وعْدَ اللَّهِ حَقًّا} [يونس: ٤] فَثَبَتَ أنَّ هَذا التَّرْتِيبَ في غايَةِ الحُسْنِ ونِهايَةِ الكَمالِ. " (الرازي، 1999) .

المبحث الثاني : دلالة مطابقة حال ورسالة النبي محمد ﷺ لرسالة وحال من قبله من الأنبياء عليهم السلام .

وقد ورد في السورة من عدة وجوه :

الوجه الأول : عدم سؤاله ﷺ الأجر على دعوته كمن سبقه من الأنبياء ، يقول تعالى حكاية عن نوح عليه السلام { فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ} [يونس:72]

ومعنى الآية :" يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قِيل نبيه نوح عليه السلام لقومه: {فإن توليتم} ، أيها القوم، عني بعد دعائي إياكم، وتبليغ رسالة ربي إليكم، مدبرين، فأعرضتم عمّا دعوتكم إليه من الحقّ... فَتَضيعٌ منكم وتفريطٌ في واجب حق الله عليكم، لا بسببٍ من قبلي، فإني لم أسألكم على ما دعوتكم إليه أجرًا، ولا عوضًا أعتاضه منكم ... {إن أجري إلا على الله} ... إنْ جزائي وأجر عملي وثوابه إلا على ربي، لا عليكم، أيها القوم، ولا على غيركم {وأمرت أن أكون من المسلمين}." (الطبري، 2001) وهذا ديدن الأنبياء والرسل عليهم السلام إذ لا يسألون أقوامهم أجرًا على دعوتهم { يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [هود:55] ولم يختلف عنهم نبينا محمد ﷺ فلم يسأل أجرًا على دعوته يقول تعالى { قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ} [الأنعام : 90] . وقد استدل الله سبحانه بهذا الدليل على صدقه ﷺ في قوله { أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ} [الطور:40] يقول السمرقندي" ومعناه: أن الحجة واجبة عليهم من كل وجه، لأنك قد أتيتهم بالبيان والبرهان، ولم تسألهم على ذلك أجرا. فقال: أَمْ تَسْأَلُهُمْ يعني: أتطلب منهم أَجْراً بما تُعَلِّمُهم من الأحكام، والشرائع. فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ يعني: من أجل المغرم، يمتنعون عن الإيمان. يعني: لا حجة لهم في الامتناع، لأنك لا تسأل منهم أجراً، فيَثقل عليهم لأجل الأجر." (السمرقندي، 1993) وكذلك استدل مؤمن آل ياسين بهذا على قومه فقال { يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ (20) ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ} [يس : 20-21] فاستدل بعدم سؤالهم الأجر على صدقهم .

وكذلك اختبرتْ ملكةُ سبأ صدق سليمان عليه السلام بإرسال هدية إليه ،يقول تعالى { وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ} [النمل : 35] "قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: قَالَتْ لِقَوْمِهَا: إِنْ قَبِلَ الْهَدِيَّةَ فَهُوَ مَلِكٌ فَقَاتِلُوهُ، وَإِنْ لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه." (ابن كثير، 1998) إذ مدعي النبوة يريد الأجر والجاه على دعوته ، أما النبي صادق النبوة فلا يريد أجرا على دعوته.

الوجه الثاني : مجيئه ﷺ بالبينات كمن قبله من الأنبياء ، يقول تعالى { وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ ۚ } [يونس:13] وقوله{ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ } [يونس:74] فالآيتان تفيدان مجيء الأنبياء والرسل بالبينات تدليلًا على صدقهم ، والبينة هي العلامة والدليل على الصدق ، سواء كانت من المعجزات أو غيرها من البراهين والأدلة العقلية المبينة لصدقهم . فمثال المعجزات ما هو معروف من عصا موسى عليه السلام ، وناقة صالح ، وغيرها من المعجزات الحسية . والله سبحانه وتعالى أعطى محمدًا ﷺ معجزات متنوعة ، كانشقاق القمر ، والإسراء

والمعراج ، وغيرها. ومثال الأدلة والحجج العقلية ما جاء عن إبراهيم عليه السلام من إقامته الحجة على النمرود ، قال تعالى { أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ } الآية [البقرة :258] . والله سبحانه وتعالى أعطى نبينا محمد ﷺ الكثير من الدلالات على نبوته ، وقد ذكرنا في الفصل الأول أنها بلغت الألف . وأعظم هذه الأدلة : القرآن الكريم ، فهو المعجزة العظمى والخالدة للنبي ﷺ ، يقول تعالى {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ } [يونس :57] قال ابن القيم " ليس تحت أديم السماء كتاب متضمن للبراهين والآيات على المطالب العالية: من التوحيد، وإثبات الصفات، وإثبات المعاد والنبوات، ورد النحل الباطلة والآراء الفاسدة، مثل القرآن. فإنه كفيل بذلك كله، متضمن له على أتم الوجوه وأحسنها، وأقربها إلى العقول وأفصحها بيانا. فهو الشفاء على الحقيقة من أدواء الشبه والشكوك. " (ابن القيم الجوزية، 1989).

الوجه الثالث: مطابقة تعاليمه ودعوته للأنبياء السابقين ، فالإسلام دين الأنبياء كلهم وإليه دعوا، فنوح قال { وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ} [يونس :72] وقال موسى{ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ} [يونس : 84] وأمر الله نبييه موسى وهارون بإقامة الصلاة { وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ}[يونس :87]وكلهم دعوا إلى توحيد الله تعالى كما حكى الله عنهم في هذه السورة وغيرها فقال تعالى حكاية عن فرعون حين أدركه الغرق فآمن بما جاء به موسى { قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ} [يونس :90] قال أبو بكر الجزائري" أكمل الأديان وأفضلها الإسلام ولهذا أهل اليقين يسألون الله تعالى أن يتوفاهم مسلمين ولما أيقن فرعون بالهلاك زعم أنه من المسلمين" (أبو بكر الجزائري، 2003) وقال تعالى{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء : 25] . وذكر الله سبحانه وتعالى أصول دعوة نبينا محمد ﷺ في نهاية السورة واستدل بها على صحة نبوته ودعوته ﷺ بقوله { قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ } [يونس : 104-106] قال الرازي " واعْلَمْ أنَّهُ تَعالى لَمّا ذَكَرَ الدَّلائِلَ عَلى أقْصى الغاياتِ وأبْلَغِ النِّهاياتِ، أمَرَ رَسُولَهُ بِإظْهارِ دِينِهِ وبِإظْهارِ المُبايَنَةِ عَنِ المُشْرِكِينَ؛ لِكَيْ تَزُولَ الشُّكُوكُ والشُّبُهاتُ في أمْرِهِ وتَخْرُجَ عِبادَةُ اللَّهِ مِن طَرِيقَةِ السِّرِّ إلى الإظْهارِ، فَقالَ: {قُلْ ياأيُّها النّاسُ إنْ كُنْتُمْ في شَكٍّ مِن دِينِي}، واعْلَمْ أنَّ ظاهِرَ هَذِهِ الآيَةِ يَدُلُّ عَلى أنَّ هَؤُلاءِ الكُفّارَ ما كانُوا يَعْرِفُونَ دِينَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وفي الخَبَرِ أنَّهم كانُوا يَقُولُونَ فِيهِ: قَدْ صَبَأ، وهو صابِئٌ، فَأمَرَ اللَّهُ تَعالى أنْ يُبَيِّنَ لَهم أنَّهُ عَلى دِينِ إبْراهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا؛ لِقَوْلِهِ تَعالى: {إنَّ إبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا} " (الرازي، 1999).

الوجه الرابع : : مطابقة شبه المكذبين له ﷺ لشبه مكذبي الأنبياء السابقين، فأول شبهة لمكذبي نبوة محمد ﷺ وردت في بداية السورة ما تقدم ذكره من إنكارهم لنبوته ﷺ وسلم لكونه بشر ، وفصلنا الحديث عن هذه الشبهة ما أغنى عن إعادته هنا. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى شبهة أخرى واعتراضًا من المشركين في قوله { قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ} [يونس :2] وفي قراءة أخرى {إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ} أي أن هذا القرآن سحر ،إذ وصف جميع المكذبين أنبيائهم بالسحر قال تعالى {كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ }[الذاريات :52]. وسبب وصفهم القرآن ونبينا محمد ﷺ بالسحر : لمجرد دفع الحق وعدم قبوله وجحده وإنكاره كما قال قوم فرعون لموسى { فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ} [يونس : 76] ، وحتى عندما قامت الحجة عليهم بإيمان السحرة وإخبارهم بأن ما جاء به موسى ليس بسحر ،لأنهم عالمون بالسحر وفنونه ، أنكر فرعون وقومه ذلك فقال فرعون –عليه لعنة الله– { قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ }[طه :71] وما رُوي عن الوليد بن المغيرة –مشابه لفعل فرعون وقومه – من إقراره بإعجاز القرآن وأنه ليس بكلام بشر ، ثم عدل عن هذا القول لَما غضب منه قومه ، وأرادوا منه قولًا آخر في القرآن ، فوصف القرآن بالسحر ليرضيهم كفرا منه وجحودا بعد ما بان له الحق قال تعالى {ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا } إلى قوله {فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ * إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ *} [المدثر :11– 25] (الطبري، 2001). والسبب الثاني لوصفهم القرآن بالسحر ما رأوه فيه من الإعجاز والحجج الباهرات مما لا يُمكن لبشر أن يأتي به ، وفيه اعتراف بعجزهم عن الإتيان بمثله . ومن الشبه التي أوردها المشركون وجاءت عن الأمم السابقة ما تقدم من عجبهم من البعث وإنكارهم ذلك قال تعالى{وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ} [يونس :48] فقد حكى الله عن قوم هود مثله فقال { إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ} [المؤمنون :37]. ومن تشابه حال المكذبين في كل عصر ، إيمانهم وقت حلول العذاب ، فهو حال مشركي قريش{ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارٗا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ * أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ} [يونس : 50–51] و حال فرعون {حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ} [يونس :90] و حال كل مكذب من الأمم السابقة قال تعالى {فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ } [غافر:84]. وكذلك اشترك المكذبون في كل زمن ومع كل نبي في كون إيمانهم لايستند على برهان ولا دليل بل هي ظنون وقول على الله بغير علم ، يقول تعالى عن المشركين {وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ} [يونس : 36] وقال تعالى {بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ} [يونس : 39].وكذلك طلب المكذبين من أنبيائهم معجزات تدل على صدقهم ، فكفار قريش قالوا {وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ } [يونس :20] والأقوام السابقة طلبوا مثل طلب هؤلاء وتعنتهم فقال عنهم{مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن

كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ } [الشعراء :154] وهناك كثيرٌ من أوجه التشابه بين مشركي زمن نبينا محمد ﷺ ومشركي الأمم السابقة وردت في سورة يونس ، لكن تركتها منعًا للتطويل ، وفي ماذكرته كفاية –إن شاء الله تعالى –.

المبحث الثالث : دليل العاقبة

قال تعالى { فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ * ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ} [يونس: 102–103]

ومعنى الآيات " فهل ينتظر هؤلاء إلا يومًا يعاينون فيه عذاب الله مثل أيام أسلافهم المكذبين الذين مَضَوا قبلهم؟ قل لهم –أيها الرسول–: فانتظروا عقاب الله إني معكم من المنتظرين عقابكم. ثم ننجِّي رسلنا والذين آمنوا معهم، وكما نجينا أولئك ننجّيك –أيها الرسول– ومَن آمن بك تفضلًا منّا ورحمة " (مجمع الملك فهد، 2009). فاستدل الله سبحانه وتعالى بحسن عاقبة الرسل على صدق رسالتهم ، فالحق دائمًا منصور ، والشر لا محالة مغلوب ، ووجه الدلالة فيه : أن النبيَّ الصادقَ مؤيد من الله تعالى ، وهو لامحالةَ ناصرهُ على قومه المكذبين هو ومن اتبعه ، بخلاف المتنبئين ، فإنهم كذَبو على الله ، فلا محالة أن الله سيخزيهم كما حصل لمسيلمة الكذاب وأمثاله من الخزي في الدنيا ، وماسيحصل لهم من العذاب في الآخرة أشدُ وأخزى ، وقد ثبت هذا تواترًا كما قال ابن تيمية (ابن تيمية، شرح العقيدة الأصفهانية، 2004). وقد استدل بهذا الدليل هرقل في حديثه المشهور فقال " وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ وَقَاتَلَكُمْ فَزَعَمْتَ أَنْ قَدْ فَعَلَ وَأَنَّ حَرْبَكُمْ وَحَرْبَهُ تَكُونُ دُوَلًا وَيُدَالُ عَلَيْكُمْ الْمَرَّةَ وَتُدَالُونَ عَلَيْهِ الْأُخْرَى وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى وَتَكُونُ لَهَا الْعَاقِبَةُ" [رواه البخاري(2941)] وهذا الدليل استدلت به الأنبياء السابقة على أقوامهم قال تعالى حكاية عن موسى ومن آمن معه { قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ } [الأعراف : 128] ثم ذكر سبحانه وتعالى انجائه لموسى ومن معه ، وهلاك فرعون والمكذبين معه ، وقال { وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ} [الروم :47] .

فإن قال قائل : قد وُجد من الأنبياء من قُتل ولم يُنصر على قومه ، كما جاء عن أنبياء بني إسرائيل –عليهم السلام– ، فإنْ كان ظهورُ الأنبياء على أقوامهم دليل على نبوتهم فقد سقط هذا الدليل ، إذ هؤلاء أنبياء لم يُنصروا ، فإما أن يُقال بأنهم ليسوا بأنبياء ، أو أن هذا الدليل غير صحيح . قلنا : الجواب عليه من وجهين :الأول: أن العاقبة دائمًا للرسل والأنبياء وأتباعهم وهذه حقيقة لا شك فيها ، وهذه العاقبة تكون غالبا في حياة

الرسل ، وقد يُكرِم الله بعض أنبيائه بالشهادة ، ثم ينتقم من الأمم التي قتلتهم كما حدث مع بني إسرائيل ، من الغضب واللعنة ، وملازمة الذل والمسكنة لهم، ومن العذاب الذي وقع لهم من الأمم كما هو معلوم من سبي الملك البابلي بختنصر لهم وتدميره لمعبد أورشليم ، وماحصل لهم من الاستئصال من القائد الروماني تيطس لما سبى عددا كبيرا منهم وهجَّرهم ، ودمَّر بيت المقدس ، وزاد في تدميره الحاكم الروماني أدريان من بعده ، ومنعهم من دخول المدينة وجعل عقوبة ذلك الإعدام وسمح لهم بزيارة رفات الهيكل يوما واحدا للبكاء عليه (الخلف، 2004) ، وغيرها من الوقائع والأخبار التي ثبتت في ذل بني إسرائيل وماحصل لهم من الهوان والمسكنة لشنيع أفعالهم وكفرهم بالله ، قال تعالى { ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ} [آل عمران : 112] . ودليله كذلك ماذكره الله تعالى من إهلاك آل ياسين بعد تكذيبهم لرسلهم ، وقتلهم المؤمن منهم ، قال تعالى { وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ * إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ} [يس :28-29]، والعربُ تُطلقُ على الغالب حكم العام.

الثاني : اللهُ سبحانه وتعالى سيبعث الخلق ليحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم ، وهناك يقتصُ لأنبيائه ورسله عليهم السلام ، ومن آمن بهم ، يقول تعالى { إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ * يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ } [غافر :51-52] قال ابن عاشور"وهَذا وعْدٌ لِلْمُؤْمِنِينَ بِأنَّ اللَّهَ ناصِرُهم عَلى مَن ظَلَمَهم في الحَياةِ الدُّنْيا بِأنْ يُوقِعَ الظّالِمَ في سُوءِ عاقِبَةٍ أوْ بِأنْ يُسَلِّطَ عَلَيْهِ مَن يَنْتَقِمُ مِنهُ بِنَحْوٍ أوْ أشَدَّ مِمّا ظَلَمَ بِهِ مُؤْمِنًا." (ابن عاشور، 1984) قال تعالى { فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ} [إبراهيم :47] وقد توعد الله قتلة الأنبياء بالعذاب الأليم يومَ القيامة فقال { إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [آل عمران :21] فعُلم أن الأنبياء وأتباعهم منصورون لامحالة إما بإحلال النقمة والعذاب على أقوامهم في حياتهم–أي الأنبياء– أو بعد مماتهم ، والنصرُ العظيم في يوم القيامة حيث نعيم دائم في جنات عدن للأنبياء وأتباعهم من المؤمنين ، وعذاب مقيم في جهنم وبئس المصير ، لمن كذَّب وكفر بالأنبياء عليهم السلام.

الفصل الثالث: دلائل نبوة محمد ﷺ الخاصة من سورة يونس

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : دليل الأحوال والصفات

قال تعالى { وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ} [يونس :15-17]

ومعنى الآيات"يذكر تعالى تعنت المكذبين لرسوله محمد ﷺ وأنهم إذا تتلى عليهم آيات الله القرآنية المبينة للحق، أعرضوا عنها، وطلبوا وجوه التعنت فقالوا، جراءة منهم وظلما: {ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ} فقبحهم الله، ما أجرأهم على الله، وأشدهم ظلما وردا لآياته. فإذا كان الرسول العظيم يأمره الله، أن يقول لهم: {قُلْ مَا يَكُونُ لِي} أي: ما ينبغي ولا يليق {أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي} فإني رسول محض، ليس لي من الأمر شيء، {إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ} أي: ليس لي غير ذلك، فإني عبد مأمور، {إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} فهذا قول خير الخلق وأدبه مع أوامر ربه ووحيه، فكيف بهؤلاء السفهاء الضالين، الذين جمعوا بين الجهل والضلال، والظلم والعناد، والتعنت والتعجيز لرب العالمين، أفلا يخافون عذاب يوم عظيم؟".فإن زعموا أن قصدهم أن يتبين لهم الحق بالآيات التي طلبوا فَهُم كَذَبةٌ في ذلك، فإن الله قد بين من الآيات ما يؤمن على مثله البشر، وهو الذي يُصرِّفها كيف يشاء، تابعا لحكمته الربانية، ورحمته بعباده.{قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا} طويلا {مِنْ قَبْلِهِ} أي: قبل تلاوته، وقبل درايتكم به، وأنا ما خطر على بالي، ولا وقع في ظني. {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} أني حيث لم أتقوله في مدة عمري، ولا صدر مني ما يدل على ذلك، فكيف أتقوله بعد ذلك، وقد لبثت فيكم عمرا طويلا تعرفون حقيقة حالي، بأني أمي لا أقرأ ولا أكتب، ولا أدرس ولا أتعلم من أحد؟ فأتيتكم بكتاب عظيم أعجز الفصحاء، وأعيا العلماء، فهل يمكن – مع هذا – أن يكون من تلقاء نفسي، أم هذا دليل قاطع أنه تنزيل من حكيم حميد؟ فلو أعملتم أفكاركم وعقولكم، وتدبرتم حالي وحال هذا الكتاب، لجزمتم جزما لا يقبل الريب بصدقه، وأنه الحق الذي ليس بعده إلا الضلال، ولكن إذ أبيتم إلا التكذيب والعناد، فأنتم لا شك أنكم ظالمون. {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ} ؟!!فلو كنت متقولا لكنت أظلم الناس، وفاتني الفلاح، ولم تَخْفَ عليكم حالي، ولكني جئتكم بآيات الله، فكذبتم بها، فتعين فيكم الظلم، ولا بد أن أمركم سيضمحل، ولن تنالوا الفلاح، ما دمتم كذلك. " (السعدي، 2000) . والتدليل بأحواله وصفاته ﷺ على صدق نبوته كما ورد في سورة يونس من وجهين : أحدها : التدليل بحاله ﷺ قبل البعثة وبعدها : أما حاله ﷺ قبل البعثة فقد قال تعالى { أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ

رَجُلٍ مِّنْهُمْ} [يونس:2] وقال { فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ} فنبينا محمد ﷺ لم يكن غريبًا عن قومه ، بل نشأ بين أظهرهم وكان مخالطًا لهم إلا ما كان يصدر منهم من الشرك والأفعال الرذيلة ، فإنه ﷺ كان مُجتنبًا لها ، مُلتزمًا الفضائلَ والأخلاق الحميدة ، وكان يُعرف بالصدق والعفاف والأمانة ﷺ ، وكان صدقه ﷺ محل إجماع قومه ، حتى إن أعداءه شهدوا له بذلك قبل علمهم بنبوته ، بل وبعد علمهم بنبوته – والحق ماشهدت به الأعداءُ– روى البخاري عن ابن عباس أنه قال " لَمَّا نَزَلَتْ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: 214] صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ علَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: يا بَنِي فِهْرٍ، يا بَنِي عَدِيٍّ –لِبُطُونِ قُرَيْشٍ– حتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أنْ يَخْرُجَ أرْسَلَ رَسولًا لِيَنْظُرَ ما هُوَ، فَجَاءَ أبو لَهَبٍ وقُرَيْشٌ، فَقالَ: أرَأَيْتَكُمْ لو أخْبَرْتُكُمْ أنَّ خَيْلًا بالوَادِي تُرِيدُ أنْ تُغِيرَ علَيْكُم؛ أكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قالوا: نَعَمْ، ما جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إلَّا صِدْقًا، قالَ: فإنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقالَ أبو لَهَبٍ: تَبًّا لكَ سَائِرَ اليَومِ، ألِهذا جَمَعْتَنَا. [رواه البخاري (4770) ومسلم(208)]" فالنبي ﷺ انتزع منهم هذه الشهادة على صدقه وإجماعهم على ذلك– فلم ينكر واحد من قريش صدقه ﷺ – لتكون حجة عليهم ، ولعلمه بما قد يقع من إنكارهم وجحدهم لنبوته ﷺ ، وكذلك كان .

وشهد له أبوجهل بالصدق بعد نبوته ﷺ ، فقد رُوي أنه خلا به الأخنس بن شُريق فقال له "أَتَرَى أَنّ مُحَمّدًا يَكْذِبُ؟ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: كَيْفَ يَكْذِبُ عَلَى اللهِ، وَقَدْ كُنّا نُسَمّيهِ الْأَمِينَ، لِأَنّهُ مَا كَذَبَ قَطّ، وَلَكِنْ إذَا اجْتَمَعَتْ فِي بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ السّقَايَةُ وَالرّفَادَةُ وَالْمَشُورَةُ، ثُمّ تَكُونُ فِيهِمْ النّبوة، فَأَيّ شَيْءٍ بَقِيَ لَنَا" (السهيلي، 1991) فأبو جهل –قبحه الله– كان من أعدى الناس للنبي ﷺ ، وأشدهم جحودًا وإنكارًا لما جاء به ، ولم يكن سبب ذلك ، إعتقاده كذبه ﷺ فهو يُقر بصدقه وأنه لم يكذب قط ، لكن حمله على عداوته حسده لبني عبد مناف ، قال تعالى { قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ}[الأنعام :33].

وقد استدلت أمنا خديجة رضي الله عنها بما يُعرف من كمال أخلاقه ﷺ وعظيم شمائله على نبوته ﷺ ، حين جاءها خائفًا بعد نزول الوحي عليه فقالت " كَلَّا، أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ علَى نَوَائِبِ الحَقِّ"[البخاري(6982)] وكذلك استدل هرقل على نبوته ﷺ بما يُعرف من صدقه فقال " وسَأَلْتُكَ، هلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بالكَذِبِ قَبْلَ أنْ يَقُولَ ما قَالَ، فَذَكَرْتَ أنْ لَا، فَقَدْ أعْرِفُ أنَّه لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الكَذِبَ علَى النَّاسِ ويَكْذِبَ علَى اللَّهِ"[البخاري (7)]. " فهم يعرفون نسبه وصدقه وأمانته بل مكث فيهم أربعين سنة لم يُؤثَر عنه كذبًا ، فكيف يكذب على الله بعد هذا العمر ؟ قال النضر بن حارث " يا معشر قريش ، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلاما حَدَثًا أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به ، قلتم ساحر ، لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ؛ وقلتم كاهن ، لا والله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم ؛ وقلتم شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، قد رأينا الشعر ، وسمعنا أصنافه كلها : هزجه ورجزه ؛ وقلتم مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ، ولا

وسوسته ، ولا تخليطه ، يا معشر قريش ، فانظروا في شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم ." (الحميري، 1955)

أما التدليل بحاله ﷺ بعد البعثة على نبوته فقوله {قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ} [يونس :15]

فالنبي ﷺ نفى عن نفسه تبديل ما يُوحى إليه من القرآن وأكد إتباعه لأمر ربه عزَّ وجل ، وخوفه من عقابه ، وغيرها من أحواله ﷺ بعد بعثته ، التي كلها دليل على نبوته ، ومن أهمها :

كمال إتباعه ﷺ لما يُوحى إليه من الأوامر والنواهي ، فلم يأمر بشيء إلا كان أول المستجيبين له ، ولم ينه عن شيء إلا كان أول المنتهين عنه ، وإن أُمر بقول شيء قاله ولم يكتمه كما قالت عائشة رضي الله عنها " لَوْ كانَ مُحَمَّدٌ ﷺ كاتِمًا شيئًا ممَّا أُنْزِلَ عليه لَكَتَمَ هذِه الآيَةَ: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عليه وأَنْعَمْتَ عليه أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ } الآية [الأحزاب: 37]."[رواه مسلم (177)] وإن أمره الله بفعل شيء فعله وإن ثَقُل كما حصل في صلح الحديبية فعن الزهري " أن قريشا بعثوا سهل بن عمرو ، وقالوا : ائت محمدا فصالحه ولا يكون في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبدا . فأتاه سهل بن عمرو فلما رآه رسول الله ﷺ قال : " قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل " ... فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ تكلما وأطالا الكلام ، وتراجعا حتى جرى بينهما الصلح ، فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب أتى عمر رسول الله فقال : يا رسول الله ، أولسنا بالمسلمين أوليسوا بالمشركين ؟ قال : " بلى " قال : فعلام نعطِ الذلة في ديننا ؟ فقال : " أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ولن يضيعني "... وقد كان أصحاب رسول الله خرجوا وهم لا يشكون في الفتح ، لرؤيا رآها رسول الله ﷺ فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمل رسول الله ﷺ على نفسه ، دخل الناس من ذلك أمر عظيم ، حتى كادوا أن يهلكوا" (ابن كثير، 1998) . وكذلك ما جاء عنه ﷺ من التزام العبادات والفضائل والأخلاق الحميدة ، وكثرة عبادته لله مع أن الله غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، فقد كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه من القيام فقيل له " يا رسول الله ، قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك . قال : أولا أكون عبدا شكورا"[البخاري(4557) ومسلم (2819) وأحمد(18114) واللفظ له] وكان يطيل قيامه ، مداومًا على ذكر الله وعبادته ،. وقد كانت أخلاقه ﷺ مضرب المثل في الكمال حتى استدل الله بها على نبوته ،قال السعدي " وتارة يقرر نبوته ورسالته بما جمع له وكمله به من أوصاف الكمال، وما هو عليه من الأخلاق الجميلة، وأن كل خلق عال سام فلرسول الله ﷺ منه أعلاه وأكمله.فمن عظمت صفاته، وفاقت نعوته جميع الخلق التي أعلاها: الصدق والأمانة، أليس هذا أكبرَ الأدلة على أنه رسول رب العالمين، والمصطفى المختار من الخلق أجمعين؟" (سعدي، 1999)

الوجه الثاني : التدليل بأميته ﷺ على نبوته : ودلالة ذلك على نبوته ظاهرة ، إذ يستحيل على رجل أمي لم يُخالط العلماء أن يأتي بهذا الكلام المُعجز الذي عجز الثقلين على الإتيان بمثله من الفصاحة والبلاغة والجلال والجمال ، وما جاء فيه من أخبار الأمم الماضية ، والعقائد السامية ، والأخلاق العالية ، والشريعة الكاملة ، وقد كان معلومًا عندهم أنه ﷺ لم يخرج لطلب علم ولم يسافر في حياته إلا مرتين فقط ، وكانوا معه في تلك السفرتين ، ولم يعهدوا شيئا من تردده على العلماء ، أو أهل الكتاب. قال تعالى { وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ}[العنكبوت:48] قال ابن عاشور " هَذا اسْتِدْلالٌ بِصِفَةِ الأُمِّيَّةِ المَعْرُوفِ بِها الرَّسُولُ ﷺ ودَلالَتُها عَلى أنَّهُ مُوحًى إلَيْهِ مِنَ اللَّهِ أعْظَمُ دَلالَةٍ، وقَدْ ورَدَ الِاسْتِدْلالُ بِها في القُرْآنِ في مَواضِعَ كَقَوْلِهِ: {ما كُنْتَ تَدْرِي ما الكِتابُ ولا الإيمانُ} [الشورى: ٥٢] وقَوْلِهِ: {فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكم عُمُرًا مِن قَبْلِهِ أفَلا تَعْقِلُونَ} [يونس: ١٦] . " (ابن عاشور، 1984)

المبحث الثاني : دليل إعجاز القران .

قال تعالى { وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ} [يونس:37-38]

ومعنى الآيات " هَذَا بَيَانٌ لِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ الْبَشَرُ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، وَلَا بِعَشْرِ سُوَرٍ، وَلَا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، لِأَنَّهُ بِفَصَاحَتِهِ وَبَلَاغَتِهِ وَوَجازته وحَلاوته، واشتماله على المعاني العزيزة النَّافِعَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الَّذِي لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ وَلَا صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ، فَكَلَامُهُ لَا يُشْبِهُ كَلَامَ الْمَخْلُوقِينَ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ} أَيْ: مِثْلُ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَا يُشْبِهُ هَذَا كَلَامَ الْبَشَرِ، {وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} أَيْ: مِنَ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهَا، وَمُبَيِّنًا لِمَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّأْوِيلِ وَالتَّبْدِيلِ . وَقَوْلُهُ: {وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} أَيْ: وَبَيَانُ الأحكام والحلال والحرام، بيانًا شَافِيًا كَافِيًا حَقًّا لَا مِرْيَةَ فِيهِ مِنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ...وَقَوْلُهُ{ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ} أَيْ إِنِ ادَّعَيْتُمْ وَافْتَرَيْتُمْ وَشَكَكْتُمْ فِي أَنَّ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَقُلْتُمْ كَذِبًا وَمَيْنًا إِنَّ هَذَا مِنْ عِنْدِ مُحَمَّدٍ فَمُحَمَّدٌ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَقَدْ جَاءَ فِيمَا زَعَمْتُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَأْتُوا أَنْتُمْ بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، أَيْ من جنس هذا الْقُرْآنِ وَاسْتَعِينُوا عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ مَنْ قَدَرْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ إِنْسٍ وَجَانٍّ. " (ابن كثير، 1998) وأوجه إعجاز القرآن كثيرة لكن سأقتصر على ذكر بعض الأوجه الإعجازية التي وردت في هذه السورة ، وإليك بيانها:

الأول : إعجازه في مبانيه ومعانيه : فنظم القرآن بديعٌ مُخالف لكل ما عُهد من لسان العرب فلا هو كنظم الشعر ، ولا النثر المسجوع ، بل هو نظمٌ مُغاير لهما ، وهذا ما شهد به فصحاء العرب وبلغاءهم ، وشهد به عجزهم هم وغيرهم من الإتيان بمثل هذا القران أو بسورة منه ، مع توافر هممهم على تحدي النبي ﷺ وتكذيبه ، وفصاحتهم وبلاغتهم فثبت بهذا أن هذا القرآن من عند الخالق العظيم .واستدل بذلك أُنيس على نبوته ﷺ ففي مسلم أن أُنيسًا قال لأخيه أبي ذر " لَقِيتُ رَجُلًا بمَكَّةَ علَى دِينِكَ، يَزْعُمُ أنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ، قُلتُ: فَما يقولُ النَّاسُ؟ قالَ: يقولونَ: شَاعِرٌ، كَاهِنٌ، سَاحِرٌ، وَكانَ أُنَيْسٌ أَحَدَ الشُّعَرَاءِ. قالَ أُنَيْسٌ: لقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ

الكَهَنَةِ، فَما هو بقَوْلِهِمْ، وَلقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ علَى أَقْرَاءِ الشِّعْرِ، فَما يَلْتَئِمُ علَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِي أنَّهُ شِعْرٌ، وَاللَّهِ إنَّه لَصَادِقٌ، وإنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ"[مسلم (2473)] . ومن إعجازه جزالة ألفاظه وقوتها مع إيجازها ، ومن أمثلته قوله تعالى { قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [النمل:18] فجمعت هذه النملة في قولها من أجناس الكلام، أحد عشر جنسًا: النداء، والكناية، والتنبيه، والتسمية، والأمر، والقصص، والتحذير، والتخصيص، والتعميم، والإشارة، والعذر. فالنداء:{ يا }. والكناية:{ أيُّ }. والتنبيه:{ ها }. والتسمية:{ النمل }. والأمر:{ ادخلوا }. والقصص:{ مساكنكم }. والتحذير:{ لا يحطمنكم }. والتخصيص:{ سليمان }. والتعميم:{ جنوده }. والإشارة:{ هم }. والعذر:{ لا يشعرون }. (السيوطي، 1974) وقد أشرنا في حديثنا عن آيات سورة يونس إلى بعض أوجه بلاغتها وبيانها ، وأحب أن أنبه على إبتداء سورة يونس بالإشارة إلى إعجاز القران قال تعالى { الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ} [يونس:1] قال البقاعي في تفسير الآية " {تِلْكَ} أي الآياتُ العَظِيمَةُ جِدًّا الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْها هَذِهِ السُّورَةُ، أوِ السُّوَرُ الَّتِي تَقَدَّمَتْ هَذِهِ السُّورَةَ أوْ هَذِهِ الحُرُوفُ المُقَطَّعَةُ المُشِيرَةُ إلى أنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللَّهِ وإلّا لَما أعْجَزَ القادِرِينَ عَلى التَّلَفُّظِ بِهَذِهِ الأحْرُفِ" (البقاعي، 1995)

الثاني: إعجازه في شرائعه وأحكامه وعقائده : فجاء تفصيل العقائد من توحيد الله تعالى وإثبات النبوة ، والمعاد والقدر وغيرها من أصول العقائد كما جاء في هذه السورة ، وجاء مع ذكر هذه العقائد ذكر أدلتها حتى يكون المؤمن على بصيرة وعلم وحجة يحاور بها غير المؤمن ، ويُثَبّت بها إيمانه ، فانظر مثلًا الى هذه الآيات في بطلان عبادة المشركين لغير الله وما اشتملته من الأسئلة العقلية والحجج المقنعة ، يقول تعالى { قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ}[يونس: 35] وما ذُكر في هذا البحث من أدلة نبوة محمد ﷺ من سورة واحدة فقط دليل على عظيم ما اشتمله القرآن من التدليل على أصول العقائد . ولم يكتف القرآن ببيان العقائد بل أوضح الشرائع والعبادات ، وكذلك اعتنى القرآن ببيان حقوق العباد وحفظ مصالحهم ، وحفظ الضروريات الخمس ، حتى لا يعتدي بعضهم على بعض . ويظهر فضل الإسلام في هذا -أي في بيانه للعقائد والأخلاق والشرائع- حين النظر إلى غير المسلمين ، إذ تخبط الفلاسفة في قديم الزمان وحديثه في الأخلاق أو ما يسمونه ب(معضلة الأخلاق) و(معضلة الخير والشر) فما الخير والشر ؟ وذهبوا في ذلك مذاهب شتى ، وكذلك اختلاف الناس في القانون الأمثل لحكم الناس ، يبين عجزهم عن ادراك الأصلح والأمثل لهم لتفاوت عقولهم وقصورها عن إدراك الحِكم العظمى للتشريع ، ولغلبة الهوى على الإنسان فيختار القانون الذي يخدم مصلحته هو لا مصلحة غيره ، { وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ }[المؤمنون:71] ويستحيل على رجل واحد أن يسن هذه التشريعات كلها ويضع النظم والقوانين في كافة مجالات الحياة ويبين للناس كيفية عيش حياتهم حتى قضاء حاجتهم ،يقول ويليام هنري "أحكام القرآن ليست مقتصرة على الفرائض الأدبية والدينية ...إنه القانون العام للعالم الإسلامي، وهو قانون شامل للقوانين المدنية والتجارية والحربية والقضائية والجزائية. ثم هو قانون ديني يدار على محوره كل أمر من الأمور الدينية إلى أمور الحياة الدنيوية، ومن حفظ النفس إلى صحة الأبدان ، ومن حقوق الرعية إلى حقوق كل فرد، ومن منفعة الإنسان الذاتية إلى منفعة الهيئة الاجتماعية ، ومن الفضيلة إلى الخطيئة، ومن القصاص في هذه الدنيا إلى القصاص في الآخرة، وعلى ذلك فالقرآن يختلف ماديًا عن الكتب المسيحية المقدسة ،التي هي في الغالب مركبة من قصص وخرافات واختباط عظيم في الأمور التعبدية وهي غير معقولة وعديمة التأثير" (خليل، 1992).

الثالث :إعجازه في أخباره: فقد جاء في القرآن قصص للأمم السابقة ، لم يعاصرها النبي ﷺ ولا أحد ممن سمع القرآن وقتها ، فلم يكن يعلمها إلا قلة من أهل الكتاب وبعض العرب الذين اتصلوا بأهل الكتاب ، فكيف علمها النبي ﷺ ، النبي الأمي الذي لم يتصل بأحد من أهل الكتاب ولا عالم يخبره بهذه القصص ، فدل على أنه عَلِمها من العليم الخبير ، قال تعالى { تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ }[هود:49] وقد ورد في سورة يونس ذكر لأخبار الأمم الماضية كقصة نوح وموسى عليهما السلام ، وقوم يونس عليه السلام وما جرى معهم.

الرابع : إعجازه في تصديقه للكتب السابقة وهيمنته عليها: فالقرآن وافق الكتب السماوية السابقة وما جاء فيها من أصول الإيمان والشرائع ، وقد تقدم ذكر طرف من التشابه الذي بين رسالة النبي ﷺ ورسالة من سبقه من الأنبياء مما أغنى عن إعادته ههنا. وكذلك صدّق الكتب السابقة بما جاء فيها من بشارات بقدومه ﷺ وسيأتي الحديث مفصلا عن ذلك في المبحث القادم.

المبحث الثالث : دليل معرفة أهل الكتاب لهﷺ.

قال تعالى { فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ}[يونس :94]

ومعنى الآية " فإن كنت –أيها الرسول– في ريب من حقيقة ما أخبرناك به فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك، من أهل التوراة والإنجيل سؤالَ تقرير وإشهاد، فإن ذلك ثابت في كتبهم، لقد جاءك الحق اليقين من ربك بأنك رسول الله، وأن هؤلاء اليهود والنصارى يعلمون صحة ذلك، ويجدون صفتك في كتبهم، ولكنهم ينكرون ذلك مع علمهم به، فلا تكونَنَّ من الشاكين في صحة ذلك وحقيقته. والمقصود من الآية إقامة الحجة على المشركين بشهادة أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ قطعًا لمعذرتهم " (مجمع الملك فهد، 2009) فالدليل المذكور هو معرفة أهل الكتاب لصفة النبي ﷺ وما جاء به من الأخبار والشرائع ، وتبشير الأنبياء السابقين به ، وبقاء تلك البشارات رغم التحريف الكبير الذي حصل لكتبهم .

قال تعالى مؤكدًا على أن القران مُنَزَّلٌ من عند الله تعالى مستدلا بمعرفة أهل الكتاب له فقال { وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ }[الشعراء:192] إلى أن قال{ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ *أَوَ لَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ } [الشعراء: 196–197] قال النجاشي لأحبار مملكته: "يا معشر القسيسين والرهبان، ما يزيد ما يقول هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذه، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه رسول الله، والذي بشّر به عيسى ابن مريم، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه " [رواه أبو داود (٣٢٠٥) صحيح] وقد كان خروجه ﷺ معلومًا عند أهل الكتاب ليس بغريب عنهم ، فقد أخبر هرقلُ أبا سفيان بعد أن سأل عن النبي ﷺ ، أنه النبي المنتظر" وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ

مِنْكُمْ"[البخاري(7) (2681)، ومسلم (1773) بنحوه] وقال لقومه: "يا معشر الروم: إني قد جمعتكم لخير، إنه قد أتاني كتاب من هذا الرجل يدعوني إلى دينه، وإنه والله للنبي الذي كنا ننتظره، ونحن نجده في كتبنا، فهلموا نتبعه ونصدقه، فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا" (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1980). وسأذكر نبوءتين من الكتاب المقدس[1] ، نبوءة من العهد القديم ذكرت صفاته ﷺ ، ونبوءة من العهد الجديد ذكرت اسمه وصفته ﷺ ، ومما يجدر الإشارة إليه صعوبة الحديث عن نبوءات الكتاب المقدس ؛ وذلك لعدة أمور، أولها : التحريف الكبير الذي حل بالكتاب المقدس وخاصة فيما يتعلق بالأسماء حيث تُرجمت الأسماء في النبوءات الى معانيها للتضليل ، وسيتضح هذا عند ذكر نبوءة البارقليط . ثانيًا: اللغة الرمزية الموجودة في النبوءة ، فيصعب فهم النص دون فهم لرمزياته . ثالثًا : ركاكة تراكيب الكتاب المقدس وعُجمة ألفاظه ، فأصبح من العسير فهم نصوصه .

النبوءة الأولى : جاء في كلام أشعياء الكثير من الحديث عن النبي ﷺ ومنها قوله " أَوْ يُدْفَعُ الْكِتَابُ لِمَنْ لاَ يَعْرِفُ الْكِتَابَةَ وَيُقَالُ لَهُ: «اقْرَأْ هذَا». فَيَقُولُ: « لاَ أَعْرِفُ الْكِتَابَةَ»" (اشعياء:12\29) وبحسب الدكتور منقذ السقار فإن جميع النسخ الغير العربية تجعل النص هكذا " أَوْ يُدْفَعُ الْكِتَابُ لِمَنْ لاَ يَعْرِفُ الْكِتَابَةَ وَيُقَالُ لَهُ: «اقْرَأْ هذَا». فَيَقُولُ: « لاَ أَعْرِفُ الْقراءة»" كما جاء في النسخة العبرية (السقار، 2007) وكذلك جاء في النسخة الإنجليزية الحديثة (New Intranational Version) . وهذه النبوءة تطابق تمامًا ما حصل للنبي ﷺ في غار حراء حين نزل عليه الوحي أول مرة "فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ اقْرَأْ. قَالَ " مَا أَنَا بِقَارِئٍ "[البخاري(7)] وماورد من وصف هذا النبي القادم بالأمية يطابق وصف النبي ﷺ ، قال تعالى { ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ} [الأعراف:157] .

النبوءة الثانية: نبوءة البارقليط وهي من أشهر النبوءات ، فقد ورد في الأناجيل أن عيسى ويحيى عليهما السلام جاءا للبشارة بملكوت الله ونبي عظيم قادم ، وذكر عيسى صفته في إنجيل يوحنا بقوله " وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ ٱلۡآبِ فَيُعۡطِيكُمۡ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمۡكُثَ مَعَكُمۡ إِلَى ٱلۡأَبَدِ، * رُوحُ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي لَا يَسۡتَطِيعُ ٱلۡعَالَمُ أَنۡ يَقۡبَلَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعۡرِفُهُ، وَأَمَّا أَنۡتُمۡ فَتَعۡرِفُونَهُ لِأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمۡ وَيَكُونُ فِيكُمۡ."(يوحنا:14\15–18) إلى قوله "وَمَتَى جَاءَ ٱلۡمُعَزِّي ٱلَّذِي سَأُرۡسِلُهُ أَنَا إِلَيۡكُمۡ مِنَ ٱلۡآبِ، رُوحُ ٱلۡحَقِّ، ٱلَّذِي مِنۡ عِنۡدِ ٱلۡآبِ يَنۡبَثِقُ، فَهُوَ يَشۡهَدُ لِي. وَتَشۡهَدُونَ أَنۡتُمۡ أَيۡضًا لِأَنَّكُمۡ مَعِي مِنَ ٱلۡٱبۡتِدَاءِ."(يوحنا:15\26–27) وقال" لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ ٱلۡحَقَّ: إِنَّهُ خَيۡرٌ لَكُمۡ أَنۡ أَنۡطَلِقَ،

[1] الكتاب المقدس يحوي العهد القديم الذي يتقسم الى عدة أسفار من ضمنها ما يزعمون أنه توراة موسى ، والعهد الجديد الذي به ما يسمى بالأناجيل الأربعة. ويُقدس اليهود العهد القديم ، أما النصارى فيُقدسون العهد القديم والجديد.

لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيكُمُ ٱلْمُعَزِّي، وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ... إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لِأَقُولَ لَكُمْ، وَلَكِنْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا ٱلْآنَ. وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ ٱلْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ ٱلْحَقِّ، لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورِ آتِيَةٍ. ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لِأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ."
(يوحنا:16\8-15)

لفظة المعزي التي تكررت ، استبدلتها التراجم العربية الحديثة بلفظ (البارقليط) التي كانت في الترجمات العربية القديمة ، ومعنى البارقليط لايخلو من أمرين : الأول : باراكليتوس ، فيكون حسب قول النصارى معناه : المعزي والمعين والموكل . الثاني : أنه بيروكلوتوس فيكون معناه : أحمد أو محمد. (الهندي، 1989) (السقار، 2007)

ويرى عبد الأحد داود أن تفسير الكنيسة للبارقليط بأنه " شخص يدعى للمساعدة أو شفيع أو محام أو وسيط " غير صحيح، فإن كلمة بارقليط اليونانية لا تفيد أياً من هذه المعاني، فالمعزي في اليونانية يدعى (باراكالون أو باريجوريتس)، والمحامي تعريب للفظة (سانجرس)، وأما الوسيط أو الشفيع فتستعمل له لفظة " ميديتيا "، وعليه فعزوف الكنيسة عن معنى الحمد إلى أي من هذه المعاني إنما هو نوع من التحريف (الكلداني، 1997). ويوافقه القس الدكتور سمبسون (السقار، 2007) وأيا كان معنى البارقليط وأصلها ، فان في النبوءة صفات لايمكن أن تنطبق إلا على النبي ﷺ ، وإليك بيانها باختصار :

1- فهم النصارى الأوائل أن هذه النبوءة تتحدث عن بشري مرسل لا عن الروح القدس ، ولذلك ظهر منهم من يدعي أنه هو مثل ماني و مونتونوس (الكلداني، 1997).
2- هذا المنتظر يجيء بعد عيسى عليه السلام ولايتكلم من نفسه بل يتكلم بما يُوحى إليه من الله تعالى ، قال تعالى في سورة يونس {قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ} [يونس:15].
3- يأتي البارقليط بالحق ويوضح للعالم عامة ولأهل الكتاب خاصة كثيرا مما يخفى عليهم ، ويأتيهم بشرائع وأحكام لم تكن موجودة عندهم وتبقى هذه الشريعة إلى الأبد ، قال تعالى { يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ} [المائدة:15]
4- يشهد البارقليط لعيسى عليه السلام بالحق وينزله منزلته التي أنزله الله ، والنبي ﷺ جاء ليشهد بأن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله ، وأنه لم يدعي الألوهية لنفسه ولا لأمه ، قال تعالى {لَقَدۡ كَفَرَ

ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ} [المائدة : 72] ولا يوجد دين في العالم كله ، يوقر عيسى عليه السلام وينزله المكانة اللائقة به ، بل ويجعل شرطًا من شروطه الإيمان بعيسى عليه السلام ، غير دين الإسلام ، قال تعالى {قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ} [البقرة:136].

5- هذا البارقليط لايعرفه العالم أي لايعرفون نبوته لكن النصارى -كما قال عيسى في النبوءة- يعرفونه ويعرفون نبوته لأنه بَشّر بقدومه (الهندي، 1989). قال تعالى {يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} [البقرة :146] وقال {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} [الصف:6]

فهاتين النبوءتين وغيرهما من نبوءات الكتاب المقدس دليل على نبوته ﷺ[2] ، وصدق ما جاء به ، ونحمد الله أن جعلنا من أمته ﷺ ، وأن هدانا للحق وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

[2] ومن أهم النبوءات ما جاء سفر التثنية (1/33): "وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم" وغيرها ، تركتها للاختصار.

الخاتمة

أهم النتائج :

1- ذكر القرآن في عدة سور منه أدلة متنوعة لتثبيت نبوة محمد ﷺ.

2- حجج القرآن واضحة بليغة مفحمة سهلة يسيرة الفهم ، عميقة المعاني والدلالات.

3- وردت عدة أدلة على نبوة محمد ﷺ في سورة يونس ومجموعها ست أدلة إجمالا .

4- الدليل الأول على نبوة محمد ﷺ: وجود الأنبياء السابقين وبشريتهم .

5- الدليل الثاني: مطابقة حاله ورسالته صلى الله عليه وسلم لمن قبله من الأنبياء عليهم السلام ، وتطابق أحوال المكذبين لهم.

6- الدليل الثالث: أن العاقبة تكون له ولأتباعه ، كما كانت العاقبة للأنبياء قبله ولمن آمن بهم.

7- الدليل الرابع: ما عُرف عنه من الأحوال قبل البعثة وبعدها ومن الصفات كصدقه وأمانته ﷺ ، وأميته ، واتباعه للوحي .

8- الدليل الخامس: إعجاز القرآن في معانيه ومبانيه ، وفي عقائده وشرائعه وأحكامه ، وأخباره ، وتصديقه للكتب السابقة وهيمنته عليها.

9- الدليل السادس: معرفة أهل الكتاب له لما ورد في كتبهم من التبشير بقدومه ﷺ ، وبقاء هذه البشارات رغم التحريف الذي طال كتب اليهود والنصارى.

10-الأدلة الواردة في هذه السورة وغيرها تدل بلا ريب أن محمدًا ﷺ نبي يوحى إليه من الله تعالى ، ورسول مُرسل جاء لهداية الخلق وإرشادهم إلى الحق ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور .

التوصيات

توصي الباحثة الباحثين بإفراد دراسة

1- لأدلة أصول الإعتقاد من سور القران الكريم عمومًا ، ومن سورة يونس خصوصًا.

2- لأدلة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من سورة الأنعام أو غيرها من سور القران الكريم.

أحمد الله وأشكره أن يسر لي كتابة هذا البحث ، وما كان فيه من صواب فهو من فضله علي ، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان . كما أشكر جامعتي جامعة أم القرى على تشجيعها الطلبة على البحث العلمي ونشره ، وأخص بالشكر والدي العزيز الذي كان نِعم الموجه لي في كتابة البحث وتنقيحه ، وأشكر والدتي كذلك على جهودها في تصحيح البحث وتشجيعي على إتمامه ، وأشكر عمي على مساعدته لي في ترجمة ملخص البحث . كما أشكر زوجي على دعمه وتشجيعه ودعاءه . و أخص بالشكر أستاذاتي الفاضلات ، ولا أنسى شُكر إخوتي وصديقاتي، وكل من أعانني على كتابة البحث ، جزاهم الله خيرًا وأجزل لهم العطاء ، وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع:

ابراهيم بن عمر البقاعي. (1995). *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي. (1999). *البحر المحيط في التفسير*. بيروت: دار الفكر.

أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني. (2009). *سنن أبي داود*. -: دار الرسالة العلمية.

أحمد بن حنبل. (2001). *مسند الامام أحمد*. -: مؤسسة الرسالة.

أحمد بن فارس. (1979). *معجم مقاييس اللغة* . -: دار الفكر.

أحمد عبد الحليم ابن تيمية. (2005). *الرد على المنطقيين*. بيروت: مؤسسة الرباب.

أحمد عبد الحليم ابن تيمية. (2000). *النبوات*. الرياض: أضواء السلف.

أحمد عبد الحليم ابن تيمية. (2004). *شرح العقيدة الأصفهانية*. بيروت: المكتبة العصرية.

أحمد علي ابن حجر العسقلاني. (2013). *فتح الباري بشرح البخاري*. بيروت: دار الرسالة العلمية.

اسماعيل عمر ابن كثير. (1998). *تفسير القرآن العظيم* . بيروت: دار الكتب العلمية, منشورات محمد علي بيضون.

الحسين بن مسعود البغوي. (1997). *معالم التنزيل في تفسير القرآن*. -: دار طيبة للنشر والتوزيع.

القاضي عياض موسى اليحصبي. (1988). *الشفا بتعريف حقوق المصطفى*. -: دار الفكر الطباعة للنشر والتوزيع.

النسخة البروتستانتية. (1995). *الكتاب المقدس*. بيروت: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

جابر موسى أبو بكر الجزائري. (2003). *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. (1974). *الإتقان في علوم القرآن*. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

سعود بن عبد العزيز الخلف. (2004). *دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية*. الرياض: مكتبة أضواء السلف.

عبد الأحد داوود الكلداني. (1997). *محمد صلى الله عليه وسلم كما ورد في كتب اليهود والنصارى*. الرياض: مكتبة العبيكان.

عبد الرحمن بن محمد الثعالبي. (1997). *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

عبد الرحمن بن ناصر السعدي. (2000). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. -: مؤسسة الرسالة.

عبد الرحمن بن ناصر سعدي. (1999). *القواعد الحسان لتفسير القرآن*. الرياض: مكتبة الرشد.

عبد الملك بن هشام الحميري. (1955). *السيرة النبوية لابن هشام*. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي. (1991). *الروض الأنف في شرح السيرة النبوية*. بيروت: دار احياء التراث العربي.

عبدالله بن أحمد النسفي. (1998). *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*. بيروت: دار الكلم الطيب.

عبدالله بن محمد القرني. (2008). *المعرفة في الاسلام مصادرها ومجالاتها*. جدة: مركز التأصيل.

عماد الدين خليل. (1992). *قالوا عن الاسلام* . الرياض: الندوة العالمية للشباب الاسلامي.

مجمع الملك فهد. (2009). *التفسير الميسر*. المدينة: مجمع الملك فهد.

محمد أبي بكر ابن القيم الجوزية. (1989). *مصباح التفاسير القرآنية الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية*. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

محمد الحسين البيهقي. (2003). *شعب الإيمان*. بومباي - الهند: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند.

محمد الطاهر محمد ابن عاشور. (1984). *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*. تونس: الدار التونسية للنشر.

محمد بن أحمد الأزهري. (2001). *تهذيب اللغة*. بيروت: دار احياء التراث العربي.

محمد بن أحمد القرطبي. (1964). *الجامع لأحكام القرآن*. القاهرة: دار الكتب المصرية.

محمد بن اسماعيل البخاري. (2001). *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه*. بيروت: دار طوق النجاة.

محمد بن جرير الطبري. (1980). *تاريخ الرسل والملوك*. مصر: دار المعارف.

محمد بن جرير الطبري. (2001). *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. -: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

محمد بن علي ابن القاضي محمد التهانوي. (1996). *موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم* . بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

محمد بن عيسى الترمذي. (1996). *الجامع الكبير = سنن الترمذي*. بيروت: دار الغرب الاسلامي.

محمد رحمت الله بن خليل الهندي. (1989). *إظهار الحق*. الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

محمد سيد طنطاوي. (1998). *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

محمد صديق خان بن حسن القِنَّوجي. (1992). *فتحُ البيان في مقاصد القرآن*. صيدا-بيروت: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر.

محمد عمر الرازي. (1999). *مفاتيح الغيب = التفسير الكبير*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

محمد محمد أبو السعود. (1928). *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*. مصر: المطبعة المصرية.

محمد مكرم ابن منظور. (1993). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

محمد يعقوب الفيروز آبادي. (2005). *القاموس المحيط*. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. (1955). *صحيح مسلم*. بيروت: دار احياء التراث العربي.

منقذ بن محمود السقار. (2007). *هل بشر الكتاب المقدس بمحمد صلى الله عليه وسلم؟* -: دار الاسلام للنشر والتوزيع.

نصر بن محمد السمرقندي. (1993). *بحر العلوم*. بيروت: دار الكتب العلمية.